

شیرکو بیکھس

أنشودتان جبلیتان

ترجمة: فؤاد عبدالرحمن

مراجعة دانا أحمد

* اسم الكتاب: أنشودتان جبليتان
* المؤلف: شيركو بيكيس
* ترجمة و تقديم: فؤاد عبدالرحمن
* مراجعة: دانا أحمد
* تصميم الغلاف: الفنان قادر ميرخان
* تصميم الداخلي: يادكار اورحمان
* الطبعة الأولى ٢٠٠٣
* طبعت بمطابع "شفان" في السليمانية
* كردستان-العراق

كلمة ..

- جذلت كثيراً عندما قرأت الترجمة لقصيدة (انشودتان جبليتان) للمترجم (فؤاد عبدالرحمن)، فبحق انه بذل قصارى طاقتة لانجان هذا المشروع العظيم، و لكن رغم كل ذلك اود ان اضيف الى جهوده المضيئة ملحوظتين:
- ١- عند قراءتي للنص المترجم لاحظت بعض الاخطاء اللغوية والمطبعية التي لا بد من تصحيحها، فحسبت نفسي مسؤولاً أمام هذه المهمة.
- ٢- ان للشاعر شيركو بيكس عدة نتاجات اخرى التي لم يذكرها المترجم و ذلك لأن زمن طبعها متأخر عن ترجمة المترجم فؤاد عبدالرحمن، مثل:
- "البورتريهات الشعرية" و "القصص الشعرية" كتجارب جديدة في العمل الشعري واخيراً كتب المطولات او الملاحم الشعرية برؤيا عصرية.
- اصدر حتى الان اكثر من ١٨ مجموعة شعرية باللغة الكردية و ترجمت له الى اللغة العربية ضمن مجاميع شعرية "مرايا صغيرة" و "ساعات من قصب" و "مضييق الفراشات" و "نغمة حجرية" و "سفر الروائح".
- اثناء الوان، الصليب و الثعبان و يوميات شاعر.
- كما ترجمت منتخبات من قصائده على شكل دواوين شعرية الى اللغات الآتية: "النكليزية، الفرنسية، الالمانية، الايطالية، السويدية" كتابين، الدانماركية، المجرية، التركية، الفارسية.
- كتب مقدمة الترجمة الفرنسية لاشعاره الشاعر الفرنسي المشهور "غيلفيك".

دانا احمد مصطفى

السليمانية- ٢٣/٩/٢٠٠٣

توطئة

لقد صار من المؤلف القول إن الترجمة مهما كانت موفقة فهي تتضمن بدرجة ما خيانة للنص الأصلي. و على الرغم من عمومية هذا الرأي فإنه لا يخلو من بعض الوجاهة والصدق، لأن النقل من لغة الى لغة، و في الأدب خاصة، عملية تعسفية في ذاتها، تبدأ بطلاق الكلمات من اللغة الأم، و تنتهي بتزويج تلك الكلمات للغة غريبة أو جديدة لا ندري ماذا ينتظر لها من مصير. و إن هذا الطلاق و التزويج قد يحدث سفيراً بين مجال دلالي و آخر، غربة إيقاعية لفظية، و اغتراب روحي.

والشعر أسرع أنواع الأدب تأثراً بتلك الغربة، لأنه يحفر مملكته في جسد الكلمات المقنعة في دلالتها و الأكثر تلوناً و ازدواجية و تلاشياً، لأنه لغة معتربة داخل اللغة.

حقيقة ان ترجمة الشعر مشكلة من أعقد المشاكل الأدبية، بل ينبغي أن نعترف أيضاً بأن الشعر يكاد لا يترجم وإن هذه الصعوبة تصير استحالة كلما جربنا الشعراء الذين يتلاعبون بعوالم الرمز.

وترجمة الشعر عملية إعادة خلق لا تقل المعاناة فيها عن معاناة الخلق نفسه، إن لم نقل إنها قد تزيد عليها. و لكن كيف يمكن أن نترجم قصيدة و هي كيان فني مكثف بذاته، و نظام لغوي مرتبط بلغته الخاصة، بغير أن ننزع منها روحها و نفقدها أهم ما يميزها من نبر و إيقاع و إحساس؟

فلكي نوفق هذه العملية الصعبة، بلا شك، لابد قبل كل شيء، من الاعتراف بأن اختيار كل ترجمة يتح وفق الذوق الخاص للمترجم قبل أي اعتبار آخر، لأن كل اختيار إنما هو في الواقع اختيار ذاتي، و لابد كذلك من الاعتراف بأن الذوق الشخصي هو الذي يتحكم إلى حد كبير في اختيار النص الأدبي المترجم.

فهاتان القصيدتان المطولتان للشاعر الكردي المعاصر (شيركو بيكس) اللتان اخترت نقلهما من اللغة الكردية إلى اللغة العربية لأضعهما بين أيدي القراء العرب بهذه العملية الجازفة مني، لم تكن نتاج محاولتي الأولى، أو بالأحرى، في هذا الوقت فحسب، بل، منذ نهاية السبعينيات ارتأيت أن أتتبع تجربة (شيركو بيكس) الشعرية، منذ أولى قصائده - المنشورة له في بداية السبعينيات - حتى آخر قصيدة نشرت له.

واقول عن قصد، بأن هدي من هذا العمل كان إخراج أحد أشعر الشعراء الكرد المعاصرين - الذين أبدعوا بقدرما استطاعوا إنقاذ أنفسهم من الطابع المحلي (بمفهوم مكاني أو إقليمي) للشعر الكردي - من مساحة أدبية وثقافية محلية إلى الامتزاج مع عقول وأذواق وهموم الذين لا يعرفون الكثير عن اللغة والتراث والأدب الكردي حتى الآن. وقناعة مني بأن هاتين القصيدتين الدراميتين المطولتين المختارتين اللتين أقدمهما يمكن أن تعطيا صورة واضحة عن الإبداع والتطور في الشعر الكردي المعاصر، وتساهما بتعريف القارئ العربي بأحد أهم شعرائنا المرموقين. ومعأنني محاول الالتزام بالأمانة التامة في نقل هذين العملين الإبداعيين اللذين لم أضف إليهما شيئاً باستثناء بعض الحواشي التي رأيت ضرورتها للقارئ العربي (لأنها خاصة بالتراث القومي الكردي لاغير). فإن ما أرجوه من القارئ العربي أن ينظر إلى هذه الترجمة كمحاولة للاقترب من روح الأصل، وكتجربة في تجسيده (فكل ترجمة هي بالنتيجة حكم على النص بالإعدام).

مقدمة قصيدة

بلا شك، يعد (شيركو بيكس)، الآن، واحداً من أبرز الشعراء الكرد المعاصرين. ولد في عام ١٩٤٠ في السليمانية، وهي إحدى المدن الكبيرة في كردستان الجنوبية. وكان والده أيضاً أحد الشعراء البارزين بين الكرد وهو (فائق بيكس) الذي اشتهر كشاعر وطني إبان عهد الاحتلال البريطاني للعراق وضمنها كردستان الجنوبية.

أول ديوان نشره الشاعر (شيركو بيكس) كان في بداية الستينيات بعنوان (وميض القصيدة = تريفهه هه ليه ست)، مقلداً في الصياغة والأسلوب الشعراء التقليديين المخصرين والمعاصرين له، وبعده نشر ديوان آخر بعنوان (هودج البكاء = كه ژاوهه گرمان)، برزت عنده ملامح التجديد للشعر الكردي والتجاء أولي إلى الرمزية واستخدام الصور الشعرية والكلمات بدلالات رمزية غامضة وعمق حسي وطني.. وبعد هذه الفترة بالذات - وكان في أواسط

السبعينيات- أسس مع أصدقاء له (شعراء وكاتب قصة) حركة تجديد أدبية ونشروا أول بيان أدبي له في مجلة خاصة لهم باسم (روانگه= المرصد)، وكان ذلك في نهاية الستينيات. كان هدفهم في ذلك، خلق تيار أدبي جديد في الأدب والفن الكردي. وكان ذلك التيار أو لتلك الحركة صدى وتأثير كبير في الوسط الأدبي والثقافي والفني الكردي، وخاصة بين المثقفين والقراء الشباب الكرد، وكان لهم أعداء أيضاً.

وتحديداً كانت - روانگه- دعوة أدبية وفكرية علنية للتجديد والعمق والاتجاه إلى الغموض والرمز والخلق الإبداعي، دعوة لم تكن بتلك الصورة قبل تلك الفترة بالذات.

وفي بداية السبعينيات نشر (شيركو بيكهس) حصيداً أعماله الشعرية في حركة التجديد ضمن ديوان معنون (عطشي يرتوي بالنار= من تينويتيم بهگړ نه شكی). وفي تلك الفترة أيضاً كتب مسرحية شعرية (كاوه الحداد= كاوه ناسنگه)، وهي مأخوذة من الأسطورة الكردية المعروفة بالاسم نفسه.

في ١١ آذار ١٩٧٤، حين اندلع القتال الجبهوي بين الثوار الكرد وبين السلطة البعثية العراقية بعد هدنة قلقة دامت أربع سنوات لإعطاء الكرد في الجزء المحتل من قبل حكم العراق الحكم الذاتي، وعلى أثر ذلك التجأ معظم الرجال وأغلب النساء الكرد إلى الجبال وإلى المناطق التي لم تكن تحت سيطرة قوات الحكومة العراقية المهاجمة لإخماد الثورة الكردية، وكان الشاعر (شيركو بيكهس) من المنظمين أيضاً لذلك الكفاح الدفاعي المسلح.

ونتيجة لانهايار الحركة الكردية المسلحة في ١١ آذار ١٩٧٥، بسبب اتفاقية في الجزائر بين بعث العراق وشاهنشاه إيران، بشروط وتنازلات هائلة من الحكومة البعثية لشاه إيران لإخماد تلك الثورة الكردية، عاد معظم الكرد الذين كانوا ضمن الثورة المسلحة إلى المدن بإحساس عميق بالهزيمة، بينما الكثير من العوائل الكردية إلى جنوب العراق ليعيشوا في مساكن قسرية في القرى والمدن الجنوبية الصحراوية. وكان من ضمنهم الشاعر (شيركو بيكهس) الذي نفي إلى مدينة هيت التابعة لمحافظة الرمادي في الجزء الغربي من جنوب العراق. وفي منفاه كتب الشاعر أول قصيدة درامية طويلة له وهي بعنوان (رحيل= كوچ)، ونشرها في عام ١٩٧٧ مع قصيدة درامية طويلة أخرى بعنوان (برایموک و أغنية الثلج وطفولتي= برایموک و گورانی به فرو مندالیم) شفي ديوان خاص تحت عنوان (أنشودتان جبليتان= دوو سروودی کيوی). وكانت هاتان القصيدتان باعتقادي، مرحلة تحول شعري كبير للشاعر (شيركو بيكهس) الذي كان له تأثير كبير على الشعراء الشباب في تلك الفترة وخصوصاً من زاوية البناء الشعري أو بناء الهيكل الدرامي للشعر. وكذلك نشر للشاعر ديوان خاص يضم معظم قصائده البوسترية القصيرة جداً بعنوان (الغسق= گازیوه)، كان له تأثير حسي جمالي بين القراء المتذوقين للشعر وحتى عامة الناس.

وفي تلك الفترة أيضاً كتب (شيركو بيكهس) مسرحية شعرية بعنوان (غزال= ناسک)، وترجم رواية (الشيخ والبحر= پيرهکوه و زهرياکه) ل(همنغواي). وفي عام ١٩٨٠ نشر له ديوان يضم عدة قصائد درامية طويلة وأخرى غير طويلة بعنوان (النهر= رويار)، لكن منعت الرقابة البعثية تداوله في الأسواق.

وفي عام ١٩٨٤، وبالذات بعد فشل المفاوضات بين حكومة البعث والاتحاد الوطني الكردستاني، التجأ الشاعر (شيركو بيكهس) إلى الجبال ونشر ضمن إعلام المعارضة الكردية ديواناً كبيراً بعنوان (كشكول البيشمركة= كهشکۆلی پيشمه رگه)، ويعتبر هذا الديوان أحد النماذج الكبيرة لشعر المقاومة الكردية. ومنذ عام ١٩٨٨ أصبح الشاعر (شيركو بيكهس) لاجئاً في السويد، حيث شارك مع شعراء عرب أو عالميين كبار في مهرجانات شعرية عالمية في عدة دول أوروبية، وحصل على جوائز أدبية، من ضمنها جائزة دولية كبيرة من السويد. ونشر له أيضاً في السويد أول مجموعة لأعماله الكاملة.

و في ربيع عام ١٩٩١ (بعد الانتفاضة العظيمة للشعب الكردي في معظم اجزاء كردستان المحتل من قبل سلطة البعث، و بعد انعتاق الكرد في ذلك الجزء، عاد (شيركو بيكهس) إلى كردستان. و على أثر تشكيل برلمان و أول حكومة كردستانية حرة، انتخب كأول وزير للإعلام و الثقافة الكردية.

منذ بداية التسعينات بدأ شيركو بتجربة شعرية جديدة و هي تجربة القصائد الطوال التي يسمى بعضها بد(القصيدة الروائية) لما فيها من روح سردية تقرّبها من روح الرواية. فجاءت قصيدته الطويلة الأولى (مضيق

الفراشات) التي ترجمت إلى العربية من قبل الكاتب و المترجم (آزاد برزنجي) و طبعتها إلى العربية أيضاً من قبل برزنجي أيضاً، و تم طبعتها في دار نينوى بدمشق ٢٠٠٠. و كتب كذلك قصيدة (الصليب و الثعبان و يوميات شاعر) في عام ١٩٨٨، ثم مطولته (إناء الألوان) و طبعت في بدار الآداب ببيروت ٢٠٠٢ م. ماعدا هذه القصائد الطوال، للشاعر مجاميع شعرية و نثرية اخرى نذكر منها:

الظل، مجموعة شعرية، عام ١٩٩٩.

أنا نفسي، حين أكون طائراً، مجموعة شعرية، عام ٢٠٠٠.

أخيراً، جدير بالذكر أن شيركو الآن يتأسس مؤسسة اسمها (مؤسسة سردم للطباعة والنشر) في مدينة السليمانية بكردستان العراق، حيث يعمل فيها أديبا كرد بارزون.

أهدي هذه الترجمة إلى

"رونك"...

اليي لولاها لما أخرجت بهذا الشكل

"نحن طيران حُران، آن لنا أن نمضي

بعيداً حيث الجبال بيضاء وراء السحب،

حيث البحر يتألق زرقاً

حيث لا يتجول غير اثنين: الريح و أنا"

(الكساندر بوشكين)

برايموك و أغنية الثلج و طفولتي

جياه الجبال صفحان هامتك الصخرية،

أرنو هناك

قرأتني...

تلك الوديان التي كتبت الأمطار الغريزة و الثلوج العاصفة فيها

هبوب القصائد و صقيع هذا الزمن!

قرأتني، لكن الأنظار

تنزلق فوق الجليد..

لا تقلق...

فعيناى ماتزالان تحبوان مع السفوح

في أحضانك

وتتشبث بغضون أشجار الجوز الباسقة.

ألا تريد إعلائي؟!

لأنى كلما رنوت لتلك السفوح،

ازدادت دهشتي،

و ارتجفت كدفق المياه.

أرنو إليك

هل يمكن للثلج أن ينام؟
أنوي الانزواء داخل عيون الغيوم التي كل يوم تلفُ نفسها بجداول
(خاتوپهري)،
و (برايموك) يردد الـ(لاوك)،
و شرعَ يغني مع الصدى:
الثلج لا ينام
لو نام الثلج لانبثقت الينابيع البصيرة؟!
لو نام الثلج!
لتحول المشتى ملاذاً وقتياً للحجول الحمراء
لو نام الثلج لما غرقت الجداول و الأنهار؟!
(برايموك) كان ينظر إلى الثلوج
و هي تتساقط،
و يرى لصاً قرب نار مسرقة
يُخرج أفعى كي يدفنه!
الثلج كان يسقط بغزارة..
يصل إلى الأرض و لا يصل
يذوب و تتحول آلاف الحبات إلى ماء،
حتى أطفأت النار!
جباه الجبال صفحات هامتك الصخرية..
أرنو هناك
و التراتيل البيضاء التي تزخها في صوتي،
و تشرق عليها شمس شعري
تستحيل أبخرةً و تذيب عشقي
و تنزل في (خه رهند) أعماقي.
إن بحثتم في زبدة أمواج
رذاذات أرجوانات الـ(زهلم)،
ستجدون فيها شقائق حبي.
إن بحثتم في رغب الغابات القصية،
ستجدون فيها الجذور العميقة
لآلام (خانى) و (حاجي كويي).
هذه أصوات دقات نواقيس الكروانات التي
تسير فوق الثلوج!
أصغوا..
أسمعوا إلى المضائق
كيف تصرخ،
فهذه مسيرة طواير النمل المجنحة
(برايموك) كان ينظر إلى الثلوج
و هي تتساقط،

و يرى لصاً قرب نار مسرقة
يُخرج افعى كي يدفنه!
الثلج كان يسقط بغزارة..
يصل إلى الأرض و لا يصل
يذوب و تتحول آلاف الحبات إلى ماء،
حتى أطفأت النار!
جباه الجبال صفحات هامتك الصخرية..
أرئو هناك
و التراتيل البيضاء التي ترزحها في صوتي،
و تشرق عليها شمس شعري
تستحيل أبخرةً و تذيب عشقي
و تنزل في (خه رند) أعماقي.
إن بحثتم في زبدة أمواج
رذاذات أرجوانات الـ(زهلم)،
ستجدون فيها شقائق حبيّ.
إن بحثتم في رغب الغابات القصية،
ستجدون فيها الجذور العميقة
لآلام (خاني) و (حاجي كويي).
هذه أصوات دقات نواقيس الكروانات التي
تسير فوق الثلوج!
أصغوا..
أسمعوا إلى المضائق
كيف تصرخ،
فهذه مسيرة طواير النمل المجرّحة
للقصائد العابرة،
أنها أبناء الجليد و بنات الأمطار و العدو.
هذا في المضيق يجلجل،
و ذاك يصر تحت أقدام قبيلة النار.
و أسرب من حجل سفوح الجبال تُطلق..
و حين تحلّق
تحلق أصواتها معها.
و ترتفع بالبصر مع قبيلة المحب
نحو الأفق الصافية لجباهك.
*الثلج يتساقط.. و الأمير يأمر:
"قسماً بشهر كانون
بهذا الشتاء
عليك أن ترحل..
سأطردك من هذا البلد".

و (برايموك) يقول:

"الاحيلة لي..

دعني

حتى يحين النوروز و الربيع

أنت الورد.. الورد.. يا من بعدت المصائب عنك".

(پهري خان) تقول:

"يا (برايموك)، يا كل ما أملكه،

هذا الشتاء قاس..

إن أصابك الموت

أصابتني المصائب والأحزان.."

الثلج يتساقط،

و في هذا الشهر

الجبال تألف العشق الأخضر

و تشرب الطوفان.

الجبال في هذا الشهر

تريد أن تتعرف على أبنائها

و حين تبعث الزمهيرر خارجاً

تناديهم،

تعين لهم النياشين!

من يسبق في إلتقاطها،

لوضعها على قبر (برايموك)،

له أن يتزوج (پهري خان)،

ابنة الثلج!

و في نوروز.. يأخذها..

كعروسة

إلى أفواه الزهور!

* * *

أنبعث (برايموك) من رداه..

هذه المرة.. تحوّل إلى شاعر!

الليل بحر أسود.. شديد الوجود..

في الخارج.. يتساقط الثلج،

و في الداخل قشرة الضباب

تدثر أعين النوافذ؟!!

في الخارج

تتوهج - هيببت سلطان - البعيد

في لهيب كعيون قطة متربصة في الشرفة التية

في الداخل..

في الخارج.. الأشجار حانية تحت أجساد الثلوج؟!!

و في الداخل.. أوقد (حاجى قادر) نيران عينيه،
و انتصب واقفاً،
يمسح الغشاوة براحة كفية..!
اقتحم الخارج الداخل،
والاثنان.. مع الثلج
لا يغمضان طرفا
عن عيون حب (پهري خان) الحبيبة!
تحول صوت ما إلى شعرٍ..!
قال الثلج:
"أنت لا تنام
و أنا عاشق
لي أعداء،
لو أغمضتُ عيني
لفقدتُ صدغي الشامخ.
و أنت لماذا؟!"
قال (حاجي):
-و أنا حارس حبيبتك..
فمنذ أن صارحتني بحب الثلج لها..
صار شعري
فوانيس واقدة فوق صدغك.
إلى أن أموت..
و سيغدو حبك زعيماً لقافلة هذه الأعمال الراحلة
يقطع في ركابه دروب الاشتعال،
ديار بعد ديار..
الليل مستنقع أبيض آسن،
و (حاجي) قامة حمراء
يجول فيه..
و يعصر جراح قلبه!
إنه ألم متقرفص في الجلوس!
إنه يُراع في جيب (كويه).
في برهة واحدة..
رَقَصَتْ فوق ركبته
ارتعاشات الفوانيس
و نبضات قلب الكلمات..!
(و كبدي، فإذا به يعاني
من ألم الفراق
و إذا بقلبي كأنما يحترق مثل كبدي)
و أنفاس قصيدة جديدة استحالت أبخرة

راحت و التصقت بعيون النافذة!
غشاء الضباب حجبت الوجهين عن البعض!
في الخارج.. الثلج لا يزال يتساقط فوق الأرض المعطاء،
و في الداخل.. اليراع ما يزال يذرع قامة حزن الكرد،
و يتدلى بداخلها.
في الخارج،
أصبح وميض -هيبت سلطان- البعيد
خافتاً..!
أكثر خفوتاً..!
انطفأ!
الثلج لم ينم..
و في الداخل، عيون (حاجة برايموك) أيضاً
لم ينم..
الثلج في الخارج.. و الكلمات في الداخل
يتساقطان معاً..
و يلونان سائر جسد انشودة هذه الأرض المباركة
بلون البياض.
* * *
الدرب جليد..
البحيرة متجمدة..
و ثمة ثعلب يسبق القافلة!
و في مرايا الجليد،
تبدو رؤوس الجياد الأصلية
بضخامة أكبر،
و قامات العشاق أطول!
اللجام و رحائل السرج تبدو
أكثر بهاءً..
وقع الحوافر..
و الزناخر..
و صواهيل الخيول.
و صيحات و صراخات عشيرة (برايموك)
غابة لتلك الأصوات المتجازمة بالبعوض.
الثلوج تتساقط..
حباتها فراشات ذابلة
فوق لحي و شوارب الكثة للشباب.
و ظل الزعيم يتتبع خطى و آثار الحوافر.
الثعلب هرّ رأسه.. و اهترّ الذيل خائفاً!!
و هنا..

انشقّ صدر الجليد!
فتراجع الثعلب،
و سارت القافلة ..
دنا الظلّ .. دويّ .. إثنان .. ثلاثة
و زلزال يعزف ضجيجاً
انهيار ثلوج من بعيد
حتى أنّ السماء
دست غيوم القطن في اذنها
(برايموك) لم يصل،
و هذه قبلات بين الزهور و الثلوج!
و الزهور و الثلوج رسمت منظراً في رأسي:
هبت الريح .. أخذها و هفها
فوق صدوغ الجبال!
الثلوج تبرعت
الثلوج إسمها (پهري خان).
في مرايا الثلوج ترتجف الألوان
بيضاء و أرجوانية ..
إرتجافاتها رقصات مع أناشيد منبثقة
من حناجر الجبال!؟
الثلوج تساقط
(برايموك) يضطجع،
يرنو إلى قريته
(برايموك) يحلم
وهو ليس بنائم.
هذه المرة سيتحول (برايموك) إلى -أنا-
كنتُ طفلاً:
في صباح فركت عيون الدهشة،
و كانت السماء:
في باحة بيتنا
تسقط شيئاً ما
ناصعة البياض!
ناديت:
-تعالى يا أمي .. السكرُ يتساقط
- (إنه الثلج يا ولدي .. إنه الثلج)
- الثلج يا أمي!؟
لأول مرة أرى هذه الزائرة الجيدة،
إنها جميلة يا أمي!!
كنتُ أقف عند النافذة، لأعدّ حبات الثلج

واحدة.. إثنان.. ثلاث.. عشر.. خمس عشرة

لا أقدر العد

كان خيالي الطفولي يخلق..

الثلوج دموع ملائكة الغيوم، مثل أمي

حين تبكي.

لن تنضب دموع (پهري) و الملائكة أيضاً

والثلوج تشبه القطن

الذي ندّفه لنا النداف

ذلك اليوم.

الله ندف عظيم

خيالي الطفل كان يكبر

الكون يرتدي معطف سميك أبيض اللون،

و الليل أبيض.. و الثلوج تُشعلُ

رؤوس الأطفال شيباً

كرأس جدي.

حارتنا بيضاء.. كل الأشياء بيضاء،

لكنّ ثوب أمي

آه.. إنه الوحيد أسود.

في الدوامة الضبابية.. عيناى متعبان

كأعناق العصافير المعشعشة

تحت إفريز السطوح!

الثلوج كانت تنيمني

* * *

في ليلة أخرى..

الثلوج يا أمي.. حكاية متشحة بالبياض!

أكسيها جسد هذه الليالي.

يا أمي الجميلة.. ألا تسمعين؟!

صهيل فرس (برايموك) أمام دار (پهري خان)!

و وق حبات الحلوب على عينا (پهري)،

و مراشي الشرفات و السطوح؟!

يا أمي الحبيبة.. أيتها العجوز الحكيمة

انظري كيف تحرق فينا جمرات الموقد بعيونها الحمراء!

الزبيب الأسود.. يطيب مع دروب القحط..

ألا تشرين.. زكاي مكان..؟

يا أمي الجميلة.. أيتها العجوز الحكيمة.

لولا الثلوج و البلوط و الجمر

لانطأت حكايتك سريعاً!

تحول (برايموك) هذه المرة إلى شاعرٍ منفي

يحدق فيك ببصره و يدوّن الجرح.
(سليمانية) عروس الثلج و عاشقة الكلمات الخضراء
يا قصيدتي الممسوقة القوام..
يا ذات العيون المكحلة!
الثوج تتساقط.. و في هذا الموسم
صار حبي طريق جليدي لراعي أحزانك.
الثلوج تتساقط.. و شالك أرجوانة لبساط الخيام
ها.....

ها قد جاءت
أسرب من حجول (ئه زمه)ك
لللقاء قصيدة من قصائدي!
ها قد جاءت
و ها إني بعثت صنوبراً للإستقبال
لقد وصلت
ها قد دخلت إلى عمق غرفة صدري الممزق.
يا (پهري خان)،
حبك الثلج و قلبي (كويستان).
أينما أكون.. و أينما تكونين،
لا الفؤاد ينفصل عن حياتك
و لا أنتِ تذويين.

"أنتم يا من ستظهرون
بعد الطوفان الذي غرقنا فيه
تذكروا..."
(برتولد بريخت)

الرحيل
نذرت هامتك للريح
فحولتها افياءً للقمم التي ترنو
على سهول مرايا العشاق
ألم تعرف؟!
ألم تعرف؟! إن هامتك كومة من الغيوم
تزج مخاض عاصفة الثلوج و سهيل الرعود؟!
ألم تعرف؟! إن عليك أن تدخل دياجي عينيك
و تشعل مآقيك فيهما؟!
كانت تريدك هكذا!
(پهري خان) ليست فقط

ندى لبسمات شفاه الليل..
ليست فقط قطرة تتلألأ فوق حلمة ندي
كي تمصها بفمك و تطفئ بها شهوتك!
(پهري خان) ليست فقط
ماء يندفق من فوق صخرة... تروي بها رجولتك
منه تشرب.. و تشرب
حتى يرتوي غليلك و تستلقي على ظهرك،
و تقول: "الله كم أنا في راحة الآن،
و أنا نجم مطمئن من زقازيق غدي.. و أحلم.."
ثم تقول: "هذا موسم الملائكة،ك
و جاءت نهاية تقيء كرتي الأرضية.."
لا.. إن (پهري خان) ستصبح وميضاً لهيباً أيضاً..
سيصبح لهيباً.. يُحرقك!
يُحرقك و يذرو رماد عظامك
في العواصف.
لا.. إن (پهري خان) ستصبح صليباً أيضاً..
و تدق بمسامير أصابعها.. رجولتك في صدرها!!
هناك (فرهاد) كثيرون لـ(پهري خان)
لكن، من سيقدر أن يسند ركبته إلى (بيستون)
و يبدل مسار النهر
نحو الأراضي التي تغزوها نمل (أرض اليباب)؟!
*ها هي (پهري خان) راحلة في هودج ربيع
صوب الشمال، و معها جميع المروج
و كل أشجار بلوط الجبال،
تنقلها من دار لدار..
لم تبق شجرة أرجوان لم تجعل من نفسها
الأنهر و يسبقهم (سيروان)
يتبعود أثر الهودج
الأمواج مرايا العرس
تحمل ملامح آلاف الوجوه!
(پهري خان) رحلت..
و رحل معها الرافدان
ها أنا أسمع في دبكات عرس الثلج الأحقوان..
في احتداد رقصات الجمر الباليهية
بين قبلات الأزهار
و تساط ال
أ
و

ر

ا

ق

بين خريير القلوب و شطآن الغروب الوحيدة

الكل تقول..

* (پهري خان) رحلت

(ينابيبي) تشرب مني و ألوانها الفضية

تخرج من بين قعري.

و أنا أتدقق بين نهديها..

و يمتص (فرهاد) ها من موضع تدفقي..

فإن أصبتُ بالجفاف

هو الآخر سيصاب

(پهري خان) رحلت..

و رحيلي.. مصير يندقق من بين النهود..

* لقد كنتُ طائراً أنوح فوق شجرة

لجسد (پهري خان) الخضراء.

و صنعتُ أيقة صوت على شفيتها

و حين تمايلت.. طرتُ أنا إلى السماء.

(پهري خان) رحلت..

و إذا لم أرحل أنا

سينفصل طيراني عن جناحي

و يغادر الحب أيكتي

و إذا لم أرحل أنل

فأيكتي تطردني

إن لم أرحل.. سيحجب عني النوح!

(پهري خان) رحلت، فصار السفح قاحلاً.

* لمَ ترحل.. و لا تقف في مكان

* لتقف و تأخذ قسطاً من الراحة..

كي تلتئم قروح أزهارها..

(پهري خان) رحلت.. و سمتُ شبحاً

مثل عقرب مجنح،

مثل جندب ناري مقرن!

يقول لها:

أنا الذي يجب أن أكون فرهادك

فإن لم أكن..

فمن نهدين

نهد لي..

و من قبلتين ..

قبلة لي ..

* (پهري خان) رحلت .

لكي تكون نهذاها و قبلتهاها

لفرهادها ..

* تذکر و صفح أوراق الأمواج في كتاب بحر رأسك ..

فهذا الرحيل رحيل الجبال ..

و وجه (پهري خان) سماء

طائر

نهر

ينقل جميع عناوينكم في دهاليز نظراته

يأخذها .. و يأخذها ..

و يرميها في مهب الإعصار .

والإعصار يدون الآن

أسماء جميع الغرقى في صوته

واحداً تلو الآخر .

ثم يلصقها على جبين الشمس .

* فهل أنت على استعداد أن تغرق

كي يصبح (پهري خان) نهديها

و قبلتيا لـ(فراد)؟! ..

.....

.....

نذرت هامتك للريح

و كان الليل فارساً يحمل في مؤخرة ظلامه :

و يحمل كل أحمال العشاق الراحلين الهائمين

فوق ظهر الحصان الأدهم لهذا الليل ..

و على ألسنة الأغصان أغنية

تدوي صيदाها في الأفق .

تغدو حكايا

و ملاحم!

في صدور الجداول ..

" في عام الذي مضى ..

كان رحيلنا رحيل الرحيق الأحمر

في العام الذي مضى ..

كان رحيلنا .. رحيل الثلم الملائكة ..

و هذا فصل الربيع .. و العشيرة تتجه صوب الشمال .

العشيرة .. قنديل عين يضيء على رأس ليلى!

العشيرة نحن .. والدينا هذه لليلي!

و ماذا تبغى!؟

*أريدكم..

أنا قادمٌ و رغيف كلماتي زاد درب (پهري خان).

أنا قادم كي أفرش آلامي..

و أعطي بضباب وحدتي و فقري

هامة (پهري خان) الشامخة.

أنا الذي نسج و شاحها من خيوط صوت

جلبته لي صرخات بيادر النرجس

من قرية النار...

علمتني: كيف أستخرج هزات الزلازل

و أضعها في حاجر الفقراء:

يا أيها الفقراء: أينما رحلتم أرافقكم..

لو كان رحيلكم يقود قافلة الجوع

لو كان رحيلكم يحط رحال الهموم الصفراء

و الحمراء

و يمد يده للأشجار الضامئة..

أرافقكم.. فإن حبي: ينمخض عن فجر (هورتكم)

و يغدو صقيع القمح و الشعير المتعرق على أجسامكم..

و تنبت سنابل الكلمات التي في دفاتر عيوني

في أوكار سواعدكم..

أنتم عيونٌ تدخلون إلى عيوني

يا أيها الفقراء

أينما شاهدت جذوركم

أغرس بجانبها رأسي

أينما أصبحتم أموجاً

سأصبح شواطئكم

و عندما تكونوا شواطئي

سأكون أمواجكم..

*عندما أتيت..

المطر

لم ينم

و لم أنم

-و أنا أحلم دون أن أنام-

المطر

لم ينم

و لم أنم

المطر لثم بشاه قطراته

وجنة قصيدة مشردة

حيث كان عطشي يكتبها
و كان جوعي يقرؤها
فكل قراءة مطر بحاجة لسما من بصر.
و كل كتابة شمس بحاجة لمرغ ليل طويل
و لمتخطين فوق لسان داخل فكوك الحيتان.
"و بدأت رحيل الأعاصير، منذ زمان
تمردت فيه الجداول على الينابيع
و الأنهار على البحار
بدأت رحيل الأعاصير، منذ أن
تحدت فيها سيوف البرق وجه السحاب المر
و طالبت بعيون كوب الزهرة"
المطر لم ينم و لم أنم
-أنا أنام و لا أحلم-
نزل المطر
و نزلت كلماتي
هبت الريح و وهبها هامتي.
و وضعت رأسي على ذرى الجبال.
الذرى عالية.. ترنو إلى حاشية حمراء اللون
في ثوب (بهري خان) الجميلة.
والحاشية الحمراء اللوت تلك لن تتلملم
حين تمشي.. تمشي وراءها النجوم
مرددة نغمة ال(لاوك)
حين تمشي.. ترقص الجراح دبكات ال(رشبلك)،
مازجة بين الزهور و الرماد!
يا (بهري خان)
المطر يعرف كيف ينزل
على خيام ليالي غربتي!
المطر هو الذي يعرف ماذا يقول لي
و أنا ماذا أقول له!
هو الذي يعرف
على شفاه نافذة أي حلم
تهدل لي حمائم وجوه الصغار
و تمتد أياديهم مثل باقات حشائش
من شاطئ نهر حزين
و كيف إلي يصلون؟!
ينبغي لك يا أمي
أن تحمليني في بطنك ثانية
فميلادي و إنبتاقي هذه المرة.

لا بد أن يجهض أسك
أحب أن أكون حياً يا أمي
و أستمع إلى مرثيتك
فهي طائر ذاك البكاء:
يلتقط بمنقاره
حبات الدموع.
و على مهل يبحث في خفايا أعماقي
عائراً على الألام.
مرثيتك تصعد غليان وحدتي
في عيون هذا القرن
مرثيتك تضميني إليها
لن تهديني.. لن أهدها
حتى تمتزج في غليان بعضنا
حتى نموت سوية..
فدعيني أسمع مرثيتك
إنها تحمل زمان طفولتي في أحضان حبك الأبدي
أمي.. بالله عليك يا أمي،
أرثيني..
انظري الماء حين يجري..
تنثني كل فروع الأشجار للقبلات
أنا ماؤك.. فقبليني؟!
أنا ماؤك.. ألسنت ماءك؟!
ألسنت أنا الشعيرات المتساقطة من رأسك
و هي مصيف الوحدة
وصوف مغزل الزمان
يستعملها الجرح و يصنع بها ستائر سرير
عروس بدون نصيب؟!
دوري مغزلك.. فهذه بداية مكبة آلامي..
لن أضيع من أمام عينيك..
انظري إلي.. ستريني..
أدخل تلك السحب التي تمطر منها الطفولة..
أدخل تلك الغيوم التي تتركب (پهري خان) هودجها
و تضرب بركاب الرعود
على بطن الحصان الذي يصهل..
و بهنيهة ينفلق من هذا الزمان
و يقول: هذا أوان عدو الصوت
و اللهيب و الموج..
هذا أوان العدو.. العدو.. العدو..

تمسك جيداً.. أُنْها الذرى..
تمسك جيداً.. فالمنحدر أُجذب.
المنحدر خنزير بري
يغرس شفرته
فهذا الطريق شفرة..
و ليس غير هذا الطريق الضيق
طريق العَدو!
فتمسك جيداً..
تربّص.. تربّص..
أمسك نفسك جيداً!
من يعلم؟ ربما لن أراك ثانية؟!
و صوتي لن يدغدغ اصغاءك بعد الآن!
في هذا الموسم
حينما تتجه العشيرة إلى أعالي الجبال
في هذا الموسم
حين تأخذ أنفاسي معها الـ(سيروان)
كتلك الأعشاب التي تتحرى أغصانها!
كتلك العصافير التي لم تزقق و لم تبصر الدنيا!
من يعلم؟ ربما لم أراك ثانية؟!
كي أرتوي من ينابيع عينيك،
و أقول.. الله..
*لم تصبح ضالاً.. بل عدت لي ثانية!
أتعرف لماذا؟!
لأنني أمك
لا ماء إلا ماء ينابيع عينيك
لا شيء اسمه الحب إلا
حب مدينتك..
*تركتك.. من أجل أن لا أتركك!
و متى لم أكن هكذا؟!
المطر
لم ينم
و أنا كذلك لن أنام
و متى لم أكن هكذا؟!
"إنها بقايا غابة مشتعلة بأشجار ذكراها.
و هتناك أيضاً.. تغسل الدموع أوراق تلك الذكريات..
عند وميض في ليلة أنا الشاهد لأمواتها و أحيائها
أنتم تقوقون لي.. تذكر..
و أنا أقول لكم.. تذكروا.."

المطر لم ينم.. و لم أنم..
حين عدتَ و أعدتَ معك الليالي التي كنا فيها
نجلس سوية نتسامر في ظل أمل شجرة
مع جميع فقراء الدنيا.
كانت أحلامها بألوانها في قلوبنا تتسلى.
كنا نرى:

من السماء تنزل ثلوج خضراء..
كنا نرى:-

الرياح بألوان.. زرقاء.. أرجوانية..
في لحظة.. كنا نرى:
دجلة.. تشرب من عيوننا..
و زيبيار.. تسلب السمع
في لحظة.. كنا شمساً و كنا فيئناً.
في لحظة.. كنا ضحكاً و كنا بكاءً.

المطر

لم ينم.. ولم أنم..
كان الليل نهراً.. و كان النهار ليلاً.
و المطر كان يقول:
*كي تخرج سنبله رأسها من جسم الشمس
و تمسك بيد (تانكو) النسيم و تضحك
على أن ارى نفسي
في الأبخرة كيف أذوب..
فانبعثوا مرة أخرى حين أمطر!
أما أنا فكنت أقول:
*تعلمت منك، كيف أجعل من رداي
سالماً أصعد منها مصيري!

المطر

لم ينم و لم أنم..
حين أتيت.. أنقضت أحلامك و أحلامي..
و سقطت كل حبة لون تحت حذاء حديدي..
انطفأت أحلامنا كالشهب
انطفأت منذ أن جئت.
و حملت معك لي
صورة (شيرين)
هل شيرين هكذا؟!
لا يوجد إلا (شيرين) واحدة
(شيرين) هكذا؟!
أنظر إليها.. أبصرها.. أنها (شيرين)..
..

يداها ..

مق

طو

ع

تا

ن

عيناها من محجريهما

مق

لو

ع

تا

ن

انظري أنتِ

شفتاها لا تطيران

و لا تصلان إلي؟!!

أشيرين هي هكذا؟!!

يا فرهاد، أتريد شيرين كهذه؟!!

يا فرهاد

أتريد نهراً تغرق أشجاره؟!!

يا فرهاد..

أتريد طيراً يحطم أعشاشه؟!!

و يمتنع عن الطيران؟!!

نذرت هامتي للمطر

فحولها لفيضان

جارف للسهول و الوديان،

و التلال التي كانت تبتلع الحيتان

المطر

لم ينم

و لم أنم..

كان رأسي ملاذاً يسير مع الريح

لذلك مسكت قلبي بيدي

و رميته في الفيضان.. خذ قلبي

فهو لا يريدك أن تغفو خذه أيها الفيضان..

فهو لا يريدك أن يلحم رأس قاتلة فرهاد

بجسد شيرين البض

*الليل كان فارساً

حملني في مؤخرة ظلامه

أني متُّ.. و لم أمت،

*إمسك نفسك جيداً،
فهذا أوان عدو الموت،
إمسك نفسك جيداً،
فمدينة الموت على هذا الطريق
و هي بعيدة و ليست بعيدة!
إمسك نفسك جيداً،
ها أنا قابع في وطيس الجرفِ
يجرقني هذا القرن..
*أجد خطوك في هذا الجرف:
فداومته رعب يلتف بالموت!
و هنا تنقلب سفينة نوح..
و هنا الماء يتجمد
و يترقق في صدر الغريق.
متى وصل السندباد إلى دوامة هذا الجرف؟!
متى؟! متى؟!
"يتجولون على شاطئ الموتى
إني أغرق..
و يرونني يتحدثون عن غريق آخر
أخرجوني.. قبل أن تعبروا هذا الشاطئ
إني أغرق
أخرجوني.. أخرجوني!"
*أمن هناك ليستنشق أنفاس الغريق؟!
يا صرخات استنجد الغرقى
من يأتي
و يسألكم!
فهذا زمان غرق النجوم
و عرس الحضيض..
*هذا زمن رحيل النهر و رحيل (پهري خان)
يا (پهري خان)
ساعداي مجذافان في السفينة المرتحلة في عينيك
و أنا الإنزواء في عينيك أيضاً
و أنا الأغنية لبساتين الكروم..
ثامرها عناقيد فصل بركات الأرض
يا (پهري خان)..
أنت الأرض.. و الأرض أنتِ
يا (پهري خان)..
دعيني أرقص رقصة الموت
فوق القمم المغطاة بالخوفِ

دعيني.. يخنقني هذا اللهب

و عنقي منشد بالحبل

في أوبريت الاحتراق

دعيني..

أدخل في غيبة الدراويش

على خشبة مسرح أضلاعي

و أدخل متوهجاً في قلب الله

أجد الحقيقة التي تحيا في سكرة رأسي.

دعيني.. أرى و أسمع في كل مرة ميلاد جديد.. موت جديد..

و أخرج الشمس من جزية الأسرار،

و أرسم لجسدي خارطة أخرى:

"حين أدخل بعيني ميلاد -أسرار-

أرى الله يأتي و يضع أفئدة النجوم في كفي

واحداً تلو الآخر..

متى لم أكن هكذا!؟

المطر لن ينام

و أنا كذلك لن أنام.

المطر تشرب من أعماقي.. و ذهني و ذاكرتي

انتفضت الأرض و نادت به

أما المدينة فكانت ضائعة بين أدغال نظراتي

إني عاشق.. يا (بهري خان).. إني عاشق..

أدوّن الأشجار التي في جسدك

و أقرأ الجبال التي في عينيك

و أنت أيضاً يا روعي،

اكتبيني إقرايني..

*منذ متى

أنت أصبحت (سيزيفاً) و أصبح هذا الكون صخرتك!؟

منذ متى

أصبحت (زوربا) و أصبح الزلزال رقصتك!؟

لا أتذكر كما الموت لا يتذكر..

أين حدث!؟

لا أتذكر كما الماء لا يتذكر..

في أي محيط و أي يمّ تمخضَ هذا لأول مرة!؟

*لا أتذكر.. و لكن

كل ما أراه إني (سيزيف) و (زوربا)

و (الموت) و (المحيط).

المطر لم ينم،

و لم أنم.

جاء نيسانُ،
و علق أزهار عيون القرى و المدن
على صدر تأريخ هذا الأرض
و أواخر أيام نيسان
راح لاستقبال الجول الذي كان
يجرف فوق وجهه العكر
قُبرة قتيلة..
حتى شاطئ
كان الآخر مقبرة لذكريات بكائي
ذات صباح..
في أواخر أيام نيسان
سقطت ليلة دامسة من فم تنين
و كان في الصباح.. حين غابت الشمس
*جاء.. جاء.. جاء..
الزلزال-الصراخ-النار-الدخان-الدم-الرماد!!
فيا نيسان الزهور المتلفة بالسواد،
ماذا فعلت بي! ماذا سببت لي!
وهبت قامتك للريح
و ولجت في عين الموتن
و أشعلت فانون البكاء..
ففانوس البكاء يستمد ضوءه من القمر المقتول
إجلس قبالتة
و أجلس بجانبك (لوركا)
ثم أنهضاً معاً
كشجرتي أرز لتضعان القمر في حضان قصيدة.
المطر لم ينم.. و لم أنم..
فهذا الإعصار الذي في (كلكامش) رحلته
يسجل اسم قارة الطوفان
و يفتح أبواب الملاحم و الأساطير
لصديقه (انكيدو)
*و أنت كذلك اجعل من ذاتك
(الشيخ و البحر).
*العبور من هذا الطوفان
يحتاج لجسر من الرعد
*و أنت اجعل نفسك
البراق:
لأن البراق غدا رسالة المحترفين..
و صار الشيخ و البحر رواية رحيل،

هذه المرة لـ(پهري خان).
طويت جبالي في صمودي
و صعدتها فوق كلماتي.
سكنت في فحولة الرعب..
كنت لسان خنجر
يلحس دماء غمدي
كل يوم
كنت أنتظر مجيء كفني
كل ليلة
كنت أنتظر فأس قطيعي
*إرحل.. إرحل..
حتى تصل لنقطة التقاء نهريين
و طريقان..
الأول إلى جهة اليمين.. طريق الخير
و لكن..
أسلك طريق اليسار
سر دون أن تحيد عنه حتى تصل إلى نبع:
لا تقف.. سر.. سر..
حتى تصل إلى سهب شائك!
لا تقف هناك أيضاً
لا تعد إلى الوراء.. بل.. سر
حتى تصل إلى كهف..
ادخله
في منتصفه ترّص
حين تنظر ترى: فوق شاطئ النهر هولاً
جاثياً
واضعاً
أحد نهديه على كتفه الأيمن
و نهده الآخر على كتفه الأيسر..
و تنطق بكلمة أبدأ..
ينساب الماء الأسود.. أبدأ لا تنطق
ينساب الماء الأصفر.. أبدأ لا تنطق
ينساب الماء الأخضر.. أبدأ لا ينطق
لكن الماء الأحمر عندما ينساب
قف فوق رأسه
لا تخف من شيء..
بكل ما تمتلك من قوة، اشهر سيفك
ارفع يدك عالياً.. ارفع يدك عالياً..

و أنزلها على جمجمته

أنزلها

أنزلها

*انساب الماء الأسود

انساب الماء الأصفر

انساب الماء الأخضر

إما الماء الأحمر لم ينساب

أبدأ.. لم ينساب!؟

لماذا لم ينساب!؟

الماء الأحمر لكي ينساب

و لكي تضرب بسيفك

عليك أن تُنعب الذئب في دمك،

و تجري في عروق جذورك

ثم تخرج من شمس جديد.

الماء الأحمر لكي ينساب

و لكي تضرب بسيفك

عليك أن تهز دفعة واحدة، جسد الموت والحياة!

"أمي .. أمي

أنا الآن دخان اتصاعد من موقع جرحي

لأصير لك مشدات

كمشدات هامات تلك الذري..

أمي .. أنا الآن خيام..

و الخيام أنا..

في صقيع الهموم أقفز على وجوه الفقراء

أقفز على آلام سهول الجرح الممتدة

الخيام.. الخيام.. الخيام..

إنها أعشاش السنونو المقطوعة الأجنحة و المناقير!

الخيام.. الخيام..

مخائب الأرانب المصادة

الخيام.. الخيام..

إبر القرب- ضلوع السل.. أحضان الثلج- الخبز الباكي- الوجه

الناتئ- بصر الموت- مقبرة!

*نذرت هامتك للمطر!

و ولجت في صوت الدم..

الليل كان فارساً.. يحمل على مؤخرة رياحه..

ألم تعرف كيف كنت تموت!؟

ألم تعرف.. إنك كنت القوس والنشاب

سحبك ل.. ق.. ط.. ع وتر عمود الفقري

في ظهر الشمس
جرّك ليفوز كرامي السهم في الرهان.
ألا تعرف.. حين كان عمرك سبعة أعوام
كان أبوك قوساً آخر للرماة..
ألا تعرف
ألا تعرف.. إنك القوس؟!
متى لم أكن هكذا؟
المطر لم ينم
و أنا كذلك لم أنم
يا (پهري خان) يا وطن الرماد و الزهور
أنتِ أهمنا جميعاً.. و جميعنا أنتِ
أنتِ عضلات تلك السواعد التي تضم إليها
نداءات المصائر.
أنتِ إلهام فرهاد،
حين يبغي اجتياز بوادي التاريخ
أمام حد الفؤوس
و تحت وابل التيزاب
فوق أشواك الهلاك.
ليبحث عن نبع يطفئ به غليل أطيّار نهديك.
يا (پهري خان) يا وطن الرماد و الزهور
لا نملك غير عيونك
أنتِ الواقفة في دوامة الطوفان.. و ترين:
كيف كان عشاقك.. يُطردون
يطردوننا.. و يمسخون أقدامهم بحافات أفواهنا
و أعيننا
و أنوفنا
يبولون على رقابنا و كفنا.
كيف كانوا ببولهم.. يكتبون لنا فرهاد
على عليهم الفارغة لقناني الويسكي
و من ناصية الطريق
يرفعوننا مع وحل و غبار إطارات (تويوتا)هم!
يا (پهري خان)،
نريد أن نورّع حبك كالخبز.
نريد أن نحمل حبك كالطفل على الكتف
نريد أن نجعل من حبك باقات كباقات الورد
نريد أن
نقرأ حبك كالشعر
*هاهم يحشون آذانهم بأقطن الظلام

يبصقون في جبين الخبز و الأطفال

ويفقأون عيون الزهور

و يقطعون أرجل الشعر

تراهم: يبدلون منطقة اللسان

و يختمونها بالشمع الأحمر

يريدون.. يريدون..

يريدون.. يريدون..

.....

.....

يريدون.. يريدون..

يريدون.. يريدون..

.....

.....

يحرسونك، لكنهم نائمون

يحرسونك، لكنهم يسرقونك

يحرسونك، و لكن

بكارتك فوق طاولاتهم جدول.. و..

يحرسونك، ... و...

.....

إنها عينك، و عليك أن تقولي ليست عيني

إنه جسمك، و عليك أن تقولي ليس جسمي..

يا (پهري خان)

المطر لم ينم

و لم أنم..

و لكنني ماذا أفعل؟.. لم أصلك؟!!

و هبت هامتي للمطر، و الليل كان فارساً

حملني في كفل رياحه

و لكنني ماذا أفعل.. ام أصلك؟!!

ماذا أفعل!.. ماذا أفعل!

يا (پهري خان)

ذات صباح.. حينما استيقظت

حين عرفت.. حين نظرت

-للجانب الأخر-

شاهدت حيك قد تحولت لقنينة (آب جو) فارغة

كهدف الرماية ينصبونه فوق رأس فرهادك

طاخ

طاخ

طاخ

طاخ

يصبونها .. ليكسروها

يكسرونها .. ليصيبوها

يا (پهري خان)

ذات صباح .. حين نظرتُ .. حين عرفت

إن حبك

قد أصبح أمامهم نفاضة سجاثر

و نرجيلة

بق

بق

بق

بق

يمصونها ..

ذات صباح .. حين استيقظت .. حين نظرتُ

-لهذا الجانب-

رأيت حبك .. قاصة

و مخازن بيع.

يتزاحمون عليها ..

و يفتحونها

بمفاتيح مفاصل فرهاد الذي قتل

السلب

السلب

السلب

السلب

النهب

النهب

النهب

النهب

يا (پهري خان)

المطر لم ينم

و لم أنم

و لكني ماذا أفعل .. لم أصل إليك؟!

حين استيقظت .. وجدت نفسي

تحت حوافر الحصان

و عندما امتطيته .. و لمحت ببصري

شاهدت الجميع في حلمي

و رأيت باقات من الحشائش فوق إصبعي

ت .. ذ .. ب .. ل ..

حين رفت..

كانت رقبتني قد صارت تحت انهيار جسمي

و جسمي تحت انهيار الكون..

الفخ.. الفخ.. الفخ..

حين عرفت..

كانت ساعداي تباعد مني

و تنفصل قدماي عني

أما أسناني.. تحولت لمنشار

كي يبتز صلب ظهري

و عجلة رأسي تدور.. و تتدحرج فوق صدري

و لساني.. من ناحية يكتبني

من ناحية أخرى يمسخني

الانهيار

الانهيار

الانهيار

الانهيار.. ينهار تحته الانهيار

الانهيار.. يأتي.. يأتي.. يأتي.. يأتي.. يأتي..

لا ينتهي

لا ينتهي

*أركض.. أركض.. أركض..

امسك بذلك

*إنها عينك، و عليك أن تقول ليست عيني

*الماء الأسود سال.. الماء الأصفر سال

الماء.. لكن الماء الأحمر لم يسأل

لماذا لم يسأل؟!

لماذا لم يسأل؟!

*أين يداك يا أبي.. لماذا تركتهما هناك؟!

إلى أين نحن ذاهبون يا أبي؟!

لماذا تبكي أمي يا أبي؟!

*لماذا؟! لماذا؟! لماذا؟!

*في نهاية العام..

قال فرهاد مقتول:

لأن الهرم كانت قاعدته منصوبة على قمته

و لأنه كان مقلوباً على الرأس

الانهيار صار هكذا

الأرض كانت بحاجة للقواعد

و الطوفان كان بحاراً

لعدة آلهة

خوفو الكبير

خوفو الصغير

خوفو

الأصغر

أما (داريوش) فكان سارقاً منا

أصواتنا.. رؤوسنا

و لذلك

حين انهار الهرم

اجتمعت جميع الحيتان

داخل و خارج ملحمة هذا الزمن

و ارتشفوا الطوفان

و من بقي

و ما بقي

نزل إلى القاع

إلى القاع

الفخ.. الفخ..

الفخ.. الفخ.. الفخ..

جننت.. جننت..

من يا ترى، يعلم، بأني سأراك ثانية

كي أشرب من ينابيع عينيك

و أقول.. الله..

لم تموتي.. و عدت؟!!

أتعرفين لماذا؟!!

لأن لا ماء إلا ماء عينيك

لأن لا حب.. إلا حب مدينتك

المطر لم ينم و لم أنم

في اليوم الثالث من عزائي

في مدينة..

كانت هي لي.. و ليست لي..

كنت أعرض للبيع

في المزاد.. كفني و نعشي لوحدي..

و ناديت.. مليء حجرات و قاعات البيت الأبيض:

"أقبلوا.. اشتروا.. بربع الثمن اشتروا..

تعالوا.. يا إخواني.. تعالوا.. اشتروا"

* * *

*يا عزيزي.. عن ماذا يتحدث هذا؟!!

*عن النار و الإعصار

*دعه.. يا عزيزي دعه..

*هذه غلاية شاي.. هذه طاقيّة و كوفية.. هذه
*أنت خذ أولئك إلى (شميران)
و أنا أجيئكم بعد مدة
و هل حملت القاصة؟!
و ماذا بخصوص الأرض.. أرض (پهري)؟
بعد فترة أخرى.. إذا افتتحت معرض لوحاتي..
أظنك تفهمني..
و لا أظنك تقول لي.. ألوانك.. كلماتك..
مغرقة في الضباب..
لا تقدر أن نرى فيها شيئاً..
و مدينتي.. مدينة (پهري)..
أنا أفهم.. و أنت أيضاً لفهمني
فبعد هذا الرحيل.. و بعد ذاك الطوفان
لا يلزمك الضحك.. إن كانت إحدى لوحاتي هكذا:
"من البعد تبدو كأنها بدون إطار..
و إحدى أضلاعها ساقطة..
و مسمار كهراوة.. مدقوق في صدرها
من الداخل يبدو لونها: أسود.. أسود.. أسود..
رأس كلب ملصق بجسم ماعز
رأس ماعز ملصق بجسم حصال
و يد بدون أنامل..
جاثم على جبل
و في الزاوية اليمنى..
فأر.. و لكن
فأر حيّ يقرض.. يقرض.. ألوان اللوحة
و يقرض حتى اللوحة نفسها!!
و أنت، يا (پهري خان)،
اهدي لي باقة من شعرك المقلوع،
كي أحفظها في أصيص البكاء
ضيعتي في جحيمك،
كي أعلق وسام احتراقي
على ياقة الموتِ
إنني الآن، امشي بدون عين
و أشمر يديّ كالمجداف في بحيرة مرتشفة
يا (پهري خان)
المطر لم ينم و لم أنم
لكني ماذا أفعل؟! لم أصلك..
يا (پهري خان)

لقد صرخت في وجه أعظم خرائط العالم:

قلت لهم:

كل (پهري خان) في هذه الدنيا

وصلت إلى (فرهاد)ها

إلا (پهري خان) هذه

لماذا لم تصل إلى (فرهاد)ها؟!*

* * *

لقد صرخت في وجه العالم..

إلى أن سقطت من غريال صرختي

أياد و أصابع للأطفال.. ثم.. انتفضت

تلك الأيدي و تلك الأصابع

و دلفت في بصر ذلك التمثال الواقف بباب نيويورك

يدلك ظهور و أكتاف السلاطين

يحمل بإحدى يديه شعلة

و ينثر بيده الأخرى عظام عاشقي الحرية

في

لهيب النار.

صرخت.. و من ليلة صرختي..

صف.. تلو الآخر

خرجت اوتاد الخيم من مكانها

و نصبت نفسها بصدر مسرح

اولياء هذا العالم كله..

لكنه يرى! هذا عصر الصمت

من ذبح طيور بلا أعشاش

كان المطر لم ينم، فلم انم

لكن ماذا افعل.. پهري خان

لم اصلك..

رجعت

عودة الى البيت الافقر لآلامي

و مع الألم كالعاشق و المعشوق

تشابكنا

مع الهم و التفرد.. بساحل المغرب

نتماشى..

لا نشيع احدنا من الآخر

هو يغني لي -هجرة حبيبيتي هجرة حمراء-

حينذاك انا أقرأ لها آخر قصيدة لحرني

داخل عينيك المتهدلتين

لماذا سقطت اوراق نظراتك فوقعت
في كف نفسي المرتجفة، صدري حفرة حزينه، مفعمة
بالآهات التي كفرخ عصفور امام حفنة برد عار
وضعوها متكاتفاً و وضعوا الارتجاف
كأكمام خرز نديف الثلج، على كتف الاشجار المجرة
ملك اسمك كلمة.. لكن يضيع فيه اللسان
مرة اخرى من اين آتي بك كي اضع شفتي على ضياء جيدك
من اين آتي بك كي تذيب ليلتي السوداء امام قدمي
و تضيء جبهتي المضطهدة
پهري اسمك ليلة واحدة
لكن كل قواميس الجبال و السهول
في نظرك يلفون الخطط الارشادية وامل التبصر
لماذا سقطت اوراق نظراتك و وقعت في نفسي؟
انا نفسي الآن ينثر رماد اضلاعي
ليلالي!، فؤادي الآن سنونو كلمة لا عش له
يخلق منخفضاً، يحمر صدره بوجنة الزهور
في مرآة الغربة يرى نفسه في حضن البكاء..
يسمع الى صوت نفسه
لماذا سقطت اوراق نظراتك و وقعت في كف نفسي المرتعد
كنت الاغنية الملونة لحلم الهودج
و جدائل هطول مطر
ينساب على كتف وجيد الشبق
و تستقر على خصر سفح العيون الخضراء
پهري خان!
مرة اخرى من اين آتي بك كي تتوضحيني
على جسمك، مثل الزهرة
النجمة
تعلقيني على الثلج ضياء نهديك
من اين آتي بك لأنام و لو للحظة في صوتك
و لو للحظة في قبلك
انا اشتعل بجناحي المحترق المتفحم الرمادي
عظامي..

لماذا سقطت اوراق نظراتك
و وقعت في كف نفسي الرتعد؟
لا تجد موضع سطر في دفاتر الخريف
لتكتب فيه السقطات الجديدة
لماذا سقطت اوراق نظراتك
و وقعت في حفرة خزينه صدري

المطر

لم ينم.. و لم انم

هو يهطل و.. انا أهطل

انا على وشك الهجرة

نحو طرمين

پهري خان! كلها هجرة

ما اراه كله هجرة

و يقطنون في غربتي

يعيشون في غربتة عيني

احلامي.. پهري خان! احلامي

و في حلمي كل ليلة:

"بيدي.. سريعا.. سريعا..

آخذ الشعر الاسود و اسحبه

في حنجرتي و فمي، لكن لا اجد او اخره

لا اصل الى نهايته

ينقطع و.. ثم ابدأ مرة اخرى

لم تنته، ينقطع و اسحبه

ينقطع و.. اسحبه

نهاية الخصلة مفقودة.. فلا اصلها

پهري خان!.. الآن

لا اجد اللحظة.. ثانية.. دقيقة

اعيش فيها الاف السنوات

الآن املك زاوية خضراء

عدة قرارات في الخيال

لم يكن له نصير العاطفة و

لم ابك فيها.

پهريخان ان غربتي

زمن لا نهاية لها

المطر لم ينم.. و لم انم

هطل المطر و هطلت معه

هطلت و هجرة السوق وضعتني على رأس مشرفي نحو طرمين

انا ميت و لست ميتاً

ها انا آت

لأهطل نديف وجهي على القطعة المشتعلة

هجرة حبينا هجرة طريق اخضر للنهر كان الصيف

و القبيلة تتجه الى الأسفل

پهريخان!.. لعزيزة

الآن.. املك الليل فرادا

امضي اليه.. يأتي اليّ
املك الليل
الليل يذهب بهجرة القبيلة الخرساء
في قلوب المتفردة
و يكتب الظلام على اوراق الاشجار
و يكون ملجأ للطيور التي سلب منها التغريد
پهريخان! املك الليل
حينما عسعس
عبر اشجار النخيل منفردة.. منفردة
صامتة.. الى الطرف الآخر
تعبر.. و حينما تنوب
تأتي بـ(فورات) لزيارتي
الى غرفتي
تصبح قصائدي الـ(مشحوف) و الاغاني
غني لي (ريل وحمدة).
حينما يأتي الفرات
يلصق رأسه برأسي الغريب
ثم يبكي و يبكي
فيسأل عن حال (سيروان)!
پهريخان! حينما يأتي الفرات
الصق عيني بنظارة جرحه
ارى مصدر المه
يدنو، كثيب جداً
ها انا ارى: يستغرق مصدر الالم
داخل الجبل، تاريخي الطويل و..
يضعه في الآن
حينما الصق عيني بنظارة الامه
ارى في نفسه جعد النهر المخنوق
و في قعره
قعر فورات تابوت طين، نامت فيه
الاف من الورود المقتولة
قعر فورات.. فيه الف
مجداف تركة لأيادي العشاق الماء
پهريخان!
كل ليلة حينما يزورني الفرات
اسرد له حكاية
الذي اخرج من الماء قسرا
يصغي الي

حينما ابكي .. يبكي معي و
يبكي و يبكي و ..
حتى تنعسه امواج شفثيه
حتى ينام جسدي!
پهريخان!
ها قد نام الفرات
ها قد نام المطر
حتى غرفتي نامت
و نام سريري
لكن (پهريخان)
يا (پهريخان) للوطن الرمادي و الورود الجنينة
انا ما نامت

حزيران/١٩٧٣